



ما أبلغ أن ينوب الصمت عن الكلام، و الواقع عن الحروف، وأن تكون الجريمة دليلاً ملماساً يشهده المارون بين الكلمات العابرة في خاصرة الإنسانية.

و الجريمة هنا ليست قتلاً بعد مواجهة شريفة سيفاً لسيف، و بندقية لبندقية، بل هي اعتداء صارخ على الضعفاء العزل الآمنين المسالمين، تسليهم حريتهم و تأسيرهم كما يأسر الصياد غزلان الفلاة، لا لذنب اقترفوه بل لابتزاز ذويهم و إهانتهم و إلغاء هويتهم الإنسانية. و حين تكثر حالات الاختطاف في مجتمع يصبح لزاماً على الشرفاء أن يدقوا ناقوس الخطر، و يطلقوا صفارات الإنذار على أعلى صوت. و قد كثرت صفارات الإنذار في سوريا حتى اعتاد المجتمع الدولي عليها و أصبح لا ينام إلا على سماعها، كالمسافر في القطار ينام على الضجيج و لا يصحو إلا بعد وقوف الزوبعة. و ماذا ترك الشبيحة من أنواع الجرائم و لم يقترفوه بعد في سوريا؟ الاختطاف أصبح عادة كشرب المته الصباحية عند بعض الفارين من عصور الجاهلية.

كنا نظن أنّ عصر النخاسة ولِي إلى غير رجعة، لكن ما يحدث في سوريا اليوم جعلنا نتيقن أنّ الجاهلية ما زالت تسكننا.

الحاج عبد الهادي بوطة ليس أول المخطوفين و لا آخرهم. رجل في الستين من العمر، ماذا يفدهم رجال ستيني، بل ماذا اقترف من ذنب ليعقب بالخطف بعد أن علا الشيب مفرقه؟ عبد الهادي بوطة لاعب و مدرب و إداري في نادي الوثبة الحمصي، اختطف يوم الخميس الماضي بصحبة صديقين - علاء الدين - و شاب من آل جمعة من منطقة تلبيسة - أمام دائرة المواصلات حيث فاجأه الشبيحة و اقتادوه أسيراً و أجبروه في اليوم الثاني على الاتصال بذويه ليخبرهم أنّ الشبيحة يطلبون مقايضته بشخص يدعى - أبو علي - مفقوداً هو الآخر و لا أحد يعرف مكانه و لا إن كان حياً أو ميتاً. و عبد الهادي رجل يعرفه كلّ المحيطين به بأخلاقه الكريمة و أياديه البيضاء على الجميع دون استثناء، لم يفرق يوماً بالمعاملة بين طائفة و أخرى بل كان ينتهج مبدأ الإنسانية و الاحترام و مبدأ العون للجميع على اختلاف مرجعياتهم الدينية و الاجتماعية.

و السؤال ماذا لو كان - أبو علي - هذا من عداد الموتى أو المفقودين ، هل يبقى عبد الهادي بوطة رهين الأسر؟ و ليس الحاج عبد الهادي وحده في أيدي الشبيحة اليوم، بل سبق أن تمّ اختطاف عائلة من آل الأتاسي، و عائلة من آل مندو و غيرهم كث ... و المطلوب إما الفدية بالمال الذي يعجز عنه الحليم أو المقايضة بمفقودين يظنّ الخاطفون أنّهم أسرى في مكان ما،

لدى الطائفة الأخرى. و سمعنا عن أحد الإخوة أن زوجته اختطفت و اتصل به الشبيحة يطلبون مليون ليرة سورية لإطلاق سراحها، و حين طلب سماع صوتها ليتأكد أنها على قيد الحياة، سمعها تقول: لا تدفع لهم فقد اغتصبني عشرون رجالاً حتى الساعة و أفضل أن يقتلونني على أن أخرج !!! و ليست قصة زينب الحمصي بقصة من الخيال التفولي، بل واقع شهد له العالم و سكت عنه فأباحت بذلك تكرار الطعنات و تكرار الجريمة ، و حين يأمن المرء العقوبة ، يطلق عقال الوحش الساكن فيه ليعيش جاهليته الأولى حيث لا شريعة سوى شريعة الغاب، و لا قانون سوى قانون التشبيح. يذهلنا صمت العالم المتمدن عن هذه المنكرات التي حرمتها الشرائع السماوية و الإنسانية، و يجعلنا ننكر كلّ هذا العالم و نرنو نحو غابات موکلي لعلنا نجد ذئبة فيها من الحنان ما يروي تعطشنا للأمن الذي عدمناه في عالم تنكر لإنسانيته فعافته حتى وحوش البراري، ليعد موکلي من حيث أتى، فنحن أحقر ، نحن أذل، نحن أشرس مما تحتوي مليون غاب.

المصادر: